

الجواهري يؤرخ لثورة تموز 1958

نسرین وصفی طاهر

تنبأ الجواهري العظيم في العهد الملكي بثورة شعبية تغير النظام وتنقل العراق إلى عهد ديمقراطي جديد، وبشّر لتلك الثورة، ودعا وحرّضَ إليها في قصائد خالدة... وقد أرخ بعد انبثاقها في الرابع عشر من تموز 1958 لعدد من وقائعها وأحداثها، مكبراً قيامها وروادها، ومنبهاً إلى المخاطر التي تحيط بها، وداعياً إلى ترسيخ مبادئها... كما ناقداً، ومنتقداً هئاتها وعثراتها وارتباكاتهما، والابتعاد عن مسارها ومبادئها، إضافة لأسلوب قيادتها... وكل ذلك من منطلق الحرص على مصالح المواطنين والبلاد أولاً، وأخيراً.

... ولعلّ سطوراً عجلت هذه لن تؤشر سوى القليل من "تموزيات" الجواهري، التي كتبها في نواحٍ ومناسبات شتى... عن جيش الثورة، وعمالها، ونسائها، وشبابها، وطلابها، وغيرهم، وكذلك عن اغتيالها، وما عاشه الوطن وأهله من مذابح وعسف وتشريد، بعد تمكن الانقلابيين من اتمام جريمتهم في انقلاب شباط الفاشي عام 1963... وهنا، وبمناسبة الذكرى الخمسين لانبثاقها، علّنا نقدر ان ننقل في الاختيارات اللاحقة شيئاً وحسب، من تأرّخة الجواهري لتلك الثورة المجيدة قياماً واغتيالاً، وما بينهما، وبعدهما من أحداث وشؤون وشجون...

* * *

جيش العراق (1958)

... جيش العراق ولهم أزل بك مؤمناً
وبأنتك الأمل المرجى والمنى
... جيش العراق إليك ألفت تحية
تستاف كـالزهر الندى وتجتنى
حمل الفترات بهما إليك نخيله
ومشى بدجلة جرفها ، والمنحنى
فقد أعدت إليهما صـنـوبهما
من بعد ما غصّ بأدران الخنا
... هذا العراق وهذه ضرباته
كانت له من قبل ألف دينا

باسم الشعب (1958)

... يا فتية العهد الجديد يضمهم
في حومة العهد الجديد كفاح
... ناشدكم جثث الضحايا لهم يزل
منها يرف على البلاد جناح

... لا تتركوا الوطن الحبيب لفرقة
نهيبا ، يجساء بسرحه ويُسرح (1)
... لمّوا الصفوف عليه يتسع المدي
بكم ، وترحب بالصفوف ، الساسح

في عيد العمال (1960)

... صحابي وأنتم لم نعم الصحاب
إذا نكثت من ص ص حيب عه وود
... مضي أمس أسود ... من خلفه
وجوه ماضت تتطفأ اللوم س وود
وففي "يوم تموز.." شقت له
وللعاكفين عليه له لح وود
... إذا ماركضتم إلى خُاب (2)
سراب تبيدي سراب جدي
فلاتستهنوا بـدرب الكفاح ،
فدون النهاية شوط يعيد ...

إيه شباب الرافدين (1961)

ضموا صفوفكم ولموا ، مجدأ إلى مجد يضم
وتكاتفوا ينهض بكم ، جبل يلاذ به أشم
... يا من اذا جد البلاء، يخلصهم شر ، يعم
... فيم التفرق ، مخول ، في الثأر ، يرصده معم (3)
... أعلى "المناسب" والعراق أب لكم ، زاك ، وأم
... أم للمبادئ وهي مائدة بها عسل وسم
... يلهو بها المتزعمون ، وينبيري للزعم زعم
يتفاسمون سهامها ... كيف يصرقها ، وكم

يا دجلة الخير (1962)

... يا دجلة الخير ما يُغليك من حنق
يُغلي فوادي : وما يشجيك يشجيني
... يا دجلة الخير: أدري بالذي طفحت ،
بـه مجاريك من فوق إلى دون
... أدري بأنك من ألف ماضت هـدراً ،
لأن تهزين من حكم السلاطين ...
... لعل يوماً ع صوفاً جارفاً عرمأ ،
أت فترض بك عقباه وترضيني

يا دارة المجد (1963)

يا دارة المحمد ودار السلام
بغداد يا عداً فريداً النظام
يا أم نهـرين استفاضت دماً
ونعمة من عهد ساسان وحمام
... من مبلغ الفاجر في "صحوة"
بين الغواني وكؤوس المرام
... ان العرق انتهيك ت دوره
عشية، ثم اسم استتب "النظام"
... "أميين" خلّ الدم ينزف دماً (4)
ودع ضمراً ينجلي عن ضمراً ...
... فلأضحايا من جراحاتها
أي عيون خزر لا تنام

إلى أطيف الشهداء الخالدين (1963)

... سلاماً: ودوى صراع عنيد
بسه السادة استب سلت والعبيد
سلاماً: وراحات تصب القيود
ويحمر فرط الحياء الحديد
... سلاماً: صابيح تالك الفلاة
وجمرة رملتها المصطلاة
... ولاة النضال، حتوف الولاة
... سلاماً: على صامد لا يطال
تعلّم كيف تموت الرجالات
... سلاماً على جاعلين الحتوف
ممر المواكب بسر الزحف
... حماسة الحمى والليالي تعود
وخلوف الشتاء ربيع جديد
سيخضر غصن ويورق عود
ويستنهض الجيـل منكم عمود

کردستان (1963)

.. غاليات في حباب شهيد وراعني
فيما أحمدت عنده فكم مر بهم
أبداً تـسدوني خطاه وأهـم
وتعنّ لي منه الطيف وارسـم

نفسى الفداء لعبقري ثنائري
يهيب الحيااة كأنة لا يفهم
... سلم على الجبل الأشم وأهله
ولأنت تعرف عن بنييه من هم
... والنتم ثرى بدم الشهيد مخضبا
عبقراً يوضوع كما يوضوع البرعم
... يا بن الشمال ولست مسعر فتنة
أنا فني وداعتي الحمى وانعم
يهتاجني ذبح النعاج واغتالي
لشوية عن صدر شاة تظم
فإذا أتت بمتي يثر رفع انري
نفس بك دل دنية تتبرم
وإذا دعوت الى القصاص فشرعة
نصف تحلل سمة ، وتحرم
... وسىؤخذ السوحش المبدل بنايه،
وعلى مخالبيه الخنا والمائم
ولسوف يصى من يموت بعاره ،
ولسوف يحسد ميتاً من يسلم

يا أبا ناظم (1965)⁽⁵⁾

... أنا ذا - من عهدت - حرّ صريح ...
القول ، القبي بما لى واعدى
... اشداة مشردون بلا وكن ...
وخرس الطيور تور توى لى وكن
افحن المزعزون عن التربة ...
ثسقى دماءنا كمل قرن
بضحايا تطيح فى كى دل درب
وقبور تصيح فى كى كل ركن
... افحن الذين يرتفع السوط
على بهم بظنة المتظنى
سوط من سوط كل على علف
دنس الأصلى والمنايت عفون

هوامش وتوضيحات:

- 1- سرح: الماشية
- 2- خلب: خادع
- 3- مخول ومعم: خال وعم
- 4- "امين": امين الاعور الكاتب والصحفى اللبناى الذى يخاطبه الجواهرى فى هذه القصيدة
- 5- أبو ناظم: الشاعر محمد صالح بحر العلوم